الرواية / المفهوم والمصطلح

تعريف الرواية : سرد خيالي نثري وهي أكبر الأعمال القصصية حجماً ظهرت في القرن الثامن عشر ، وارتبط ظهورها بنشأة الطبقة الوسطى في أوربا .

وقد قسّم النقاد القصة إلى أربعة أنواع هي : الرواية ، والرواية القصيرة ، والقصة القصيرة ، والقصة القصيرة جداً .

نشأة الرواية في الأدب العربي الحديث :

نشأت الرواية بنشأة البرجوازية (الطبقة الوسطى) في أوربا ، فلم تعد الطبقة الإقطاعية هي المتلقية للفن ، وصاحب ظهور هذه الطبقة زيادة عدد جماهير القرّاء بصورة ملحوظة في الريف وفي المدينة من بعض أصحاب المحال وأغنياء المزارعين ومن التجار والموظفين ومن النساء كذلك .

فأصبحت الرواية متجهة لمخاطبة قرائها الجدد .

ويشير دارسو الرواية العربية الحديثة إلى أن النشأة الأولى لها كانت على يد المصريين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فقد قسّم الدكتور عبد المحسن طه بدر المراحل التي مرّت بها الرواية العربية المصرية في كتابه (تطور الرواية العربية في مصر) إلى :

مرحلة الرواية التعليمية التي تهدف إلى التعليم من دون متعة السرد ، وضرب لها مثلاً (مغامرات تليماخ) التي نقلها عن الألمانية (رفاعة الطهطاوي) ، وتعد وقائع تليماخ (تليماك) أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي في مصر في القرن التاسع عشر ، والهدف التعليمي واضح ، وان رفاعة

الطهطاوي ترجم روايته لهدفين :
الهدف الأول : تقديم نصائح للملوك والحكام..
والهدف الثاني : تقديم مواعظ لتحسين سلوك عامة الناس.

أما المرحلة الثانية فتمثلت في الرواية التاريخية وضرب لها مثلاً (غادة كربلاء) لجرجي زيدان.
ثم الرواية الفنية التي جاءت تأسيساً على هركات النضال العربي ومن كتابها : طه حسين ، وتوفيق الحكيم وغيرهم.

ويمكن القول : إنّ الرواية العربية الحديثة متأثرة عن الروايات الغربية بنحو كبير ، ولا يعني هذا التأثر ان التراث العربي لم يعرف شكلاً روائياً خاصاً به ، فقد كان التراث حافلاً بإرهاصات قصصية تمثلتها في حكايات السير الشعبية، وقصص العذريين ، والقصص الديني والفلسفي - وهذا يعود إلى تأثر الادباء العرب بعد اتصالهم بأوربا عن القصص الغربي وكان رائدهم هو (رفاعة الطهطاوي) وبعده (فرح انطوان) و (المويلحي) و (مصطفى ابراهيم) الذين كانوا أول من كتب في هذا الفن الروائي..
أما الجيل الثاني الذين ظهروا في مجال كتابة الرواية في البلاد العربية خاصة في مصر : (طه حسين) و (جرجي زيدان) و (محمود تيمور) و (توفيق الحكيم) و (محمد حسين هيكل) و (نجيب محفوظ) وبعدهم (عبد الرحمن الشرقاوي) و (صالح مرسي) وهم من الجيل الثالث ومن كبار الروائيين في العالم العربي الذين ساهموا في تطوير الرواية العربية الحديثة حتى وصلت إلى منتهاها.
وقد تأسس الفن الروائي العربي الحديث على خلفيتين مختلفتين :
الأولى / تمثلت في الفن الروائي الغربي وأثره بالرواية العربية الحديثة عن طريق البعثات التعليمية التي قام بها المصريون إلى أوربا.
الثانية / تنامي الوعي القومي العربي بعد الحرب العالمية الأولى ونشوب الثورات التحررية في أرجاء الوطن العربي كله.

نشأة الرواية في العراق :

مهما قيل عن أصول القصة العربية الحديثة ، فان ربطها بالاشكال القصصية العربية القديمة لم يعد أمراً مقبولاً ، اذ لم يستطع دعاة هذا الربط الاتيان بالملامح الفنية المشتركة الكافية ولا بالدعائم الموضوعية لمثل هذا الرأي ، الأمر الذي يؤدي إلى القول بأن القصة العربية ، بوصفها فناً حديثاً ، هي غربية الأصول - وحين نقول (القصة) فانما نعني بذلك جميع الاشكال التي تقع تحت هذا المصطلح - قد نشأت وتطورت ، خاصة في مراحلها الأولى ، في ظلال القصة الغربية وتحت تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة . والعراق ، شأنه شأن بقية الأقطار العربية الأخرى ، قد وقع في أدبه القصصي تحت التأثيرات المباشرة ، من خلال الترجمة واللغات الأجنبية ، والتأثيرات غير المباشرة ، من خلال الأعمال القصصية العربية الحديثة الوافدة من الأقطار التي سبقته في هذا المضمار ، وبالتحديد مصر وبلاد الشام .

سبق اللبنانيون والمصريون غيرهم من العرب في التعرف على أدب القصة وفي الكتابة فيه ، ولذلك عدّة أسباب ، كانت من أهمها حركة الترجمة ، والتي بدأت عن الفرنسية بعد حملة نابليون على مصر ، فقد ترجمت اعداد كبيرة نسبياً من القصص والروايات الغربية . ومع أن الحركة لم تشمل العراق الاّ في أواخر القرن التاسع عشر ، وبقيت محدودة بعد ذلك ، فان المجلات المصرية واللبنانية كانت تصل إلى العراق وفيها نماذج من القصص القصيرة والروايات الملخصة المترجمة قبل أن تحذو المجلات والصحف العراقية حذوها وتميلها في هذا التقليد .

ولم يظهر مصطلح (الرواية) الاّ في عام (١٩٠٨) حين نشرت (جريدة بابل) رواية ملخصة تحت عنوان (رواية العدل أساس الملك) .

قامت أثناء ذلك محاولات عربية في كتابة القصة ، كان أغلبها ، إن لم تكن كلها ، تحتذي أساليب عربية قديمة لم تتطور إلى اشكال قصصية حديثة ، وفي العراق كانت هناك محاولات من هذا النوع أيضاً ويعد محمود أحمد السيد أول من كتب القصة الحديثة في العراق فقد نشر روايته في (سبيل الزواج) سنة ١٩٢١ لتتبعها هو وآخرون قصص وروايات أخرى .